الوحدة الألمانية

ودوروسها المستفادة فى الاقتصاد والبترول

دكتور مهندس:
نادر رياض

اذا كان العالم قد اهتز بتأثير حدوث انهيار الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية الشيوعية ، فقد كان توحيد ألمانيا حدثا لايقل عن ذلك تأثيرا على العالم . فعلى الرغم من أن الحدثين يتخذان اتجاها عكسيا من بعضهما سواء فى الفعل او النتائج المترتبة على ذلك ، الا ان البعض يرى ثمة صلة بين الحدثين ، باعتبار ان تقسيم المانيا طوال السنوات الأربعين الماضية كان تجسيدا حيا ومستمرا للمواجهة بين الشرق والغرب . ومن المؤكد ان توحيد ألمانيا قد ألغى نظريات ورؤى عالمية استقرت اوضاعها على مدى خمسين عاما . لقد اتسعت مساحة ألمانيا اليوم وأصبحت ذات سيادة كاملة . فاذا كانت جمهورية ألمانيا الاتحادية تعتبر فى رأى المحللين «عملاقا اقتصاديا» فقد أصبحت المانيا الموحدة اليوم مؤهلة تماما لممارسة دورا رئيسيا فى المجتمع الدولى

ولم تهدأ التكهنات يوما بشأن المعجزة الألمانية وعملية الاصلاح الشامل التى نشطت فى نهضة غير مسبوقة فى التاريخ لتعيد بناء الدولة التى تحطمت تماما خلال الحرب . ولاتزال الأفلام التسجيلية تأتى لنا مجددا بصور عن حالة الخراب التام التى وصلت إليها ألمانيا فى عام ١٩٤٦ . فحيثما ينظر الانسان لايرى سوى مشاهد لبقايا الدمار والخراب على اختلاف صوره واشكاله.

فقد استطاعت ألمانيا ان تقوم فى زمن قياسى بأكبر عملية لاعادة البناء عرفها العصر الحديث ... ولم تقتصر عملية الاصلاح تلك على التعمير المادى للمدن والقرى ، بل امتدت لتشمل ايضا عمليات واسعة النطاق للاصلاح الاقتصادى والاجتماعى والفكرى والثقافى ، فقد كان الشعب الألمانى كله إصرار وعزيمة واستعداد لخوض معركة الاصلاح والتعمير وهى فى مفهومها الموسع معركة الحياة ذاتها.

ويبدو لنا الآن بجلاء أن الدمار والخراب والهزيمة التى لحقت بالموارد المادية والأصول الاقتصادية التى كانت تملكها المانيا قد مست بقدر أقل ما لحق بعزيمة الشعب الألمانى وإصراره على استعادة مكانته . فقد بقيت الموارد البشرية للشعب الالمانى سليمة بكل ما يملكه من معارف وخبرات ومهارات وانضباط على ما كان عليه دون مساس.

وفجأة بدأت ألمانيا تستفيد من إمكاناتها الضخمة التى كانت قد طورتها ضمن خطة اعداد الدولة لخوض الحرب فى مجالات الكيمياء والطبيعية والهندسة واللوجستيات والاتصالات والصناعة والطيران والطب والصيدلة ، والتى بدت هائلة الحجم والمضمون ، ومجهزة تماما للتوظيف فى خدمة السلام.

وحتى تكنولوجيا الصواريخ والفضاء التى كانت قد طورتها لتبلغ آفاقا جديدة قبل نهاية الحرب وهى امكانيات لم تتمكن المانيا من متابعة تطويرها بعد ذلك ، الا انها اصبحت متاحة للشرق والغرب للاستفادة منها على حد سواء ، مما شكل ثورة تكنولوجية بعد ذلك فى هذا المجال.

لقد احتلت المانيا اليوم الوضع اللائق بصفتها أحد الاطراف الرئيسية المؤثرة فى الحياة الاقتصادية والمالية ليس فقط فى داخل المجموعة الاقتصادية الأوروبية وحدها بل على نطاق العالم بأسره.

وفى هذا الاطار استطاعت ألمانيا ان تحقق معجزة جديدة تتمثل فى إعادة بناء الجزء الشرقى منها . فقد أصبحت المانيا الشرقية على مدى السنوات الثلاث الماضية حالة دراسية نموذجية للتنمية .

فما أنجزته ألمانيا الشرقية على مدى أربعين عاما يضاهى ما أنجزته المانيا الموحدة فى هذه الفترة الوجيزة . وتشير التقديرات اى أن معدلات النمو فى مستويات المعيشة فى الجزء الشرقى من ألمانيا كاد يتجاوز معدلات النمو فى الدول الغربية.

وتفيد التقارير الى انه قد تم بيع نحو ١٤,٠٠٠ مشروع و ١٦,٠٠٠ عقار الى مشترين ألمان واجانب تتجاوز قيمتها ٤٠ مليار مارك ألمانى كما تم بيع نحو ٣٠,٠٠٠ هكتار من الأراضى الزراعية وتأجير نحو مليون هكتار اخرى كما أبرمت عقود للتوظيف تقدر بنحو ١,٥ مليون عقد واستثمارات تقدر قيمتها بنحو ١٨٠ مليار مارك ألمانى . كما شهد مطلع عام ١٩٩٤ أكبر مشروع استثمارى منفرد ، يتعلق بإقامة مصفاة حديثة للبترول تبلغ تكلفتها ٤,٣ مليار مارك المانى مما يعتبر أضخم مشروع تشهده أوروبا بهذا الحجم على مدى السنوات العشرين الماضية.

ولمواجهة حاجة المشروعات المتوسطة والصغيرة الحجم الى دعم رأسمالى عند نشأتها فقد اعتمدت المصارف الألمانية منح ائتمانات ضخمة وذلك فى اطار اتفاق بين الحكومة الاتحادية والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية الرئيسية فى البلاد . فقد وفرت مؤسسة قروض التعمير بمفردها حتى بداية عام ١٩٩٤ ماقيمته ٣٠ مليار مارك ألمانى من القروض تكفى لنحو ٦٠,٠٠٠ مشروع استثمارى من فئة المشروعات الصغيرة والمتوسطة الحجم.

ويغرى الطلب الشديد على الايدى العاملة فى الجزء الشرقى من المانيا الى انخراط نحو ٤٠٠,٠٠٠ عامل من الجزء الشرقى فى أعمال تقع فى مناطق الحدود التى ينتقلون إليها بصورة يومية ، كذلك يشترك نحو ٥٠,٠٠٠ عامل من الجزء الشرقى فى التدريب على برامج تدريبية فى الجزء الغربى وفضلا عن ذلك فقد انتقل نحو ١٠٠,٠٠٠ فرد من سكان الجزء الغربى الى الجزء الشرقى من ألمانيا لظروف تتعلق بالعمل والاستثمار.

بيد ان الحياة أفسح مجالا من الاقتصاد او السياسة فالحياة الثقافية هى العنصر الاكثر اشراقا فى حياة البشر . ومن ثم فانطلاقا من هذا الواقع فقد حرصت جمهورية ألمانيا الاتحادية فى الماضى على إيلاء اهتمام بالغ للانشطة الثقافية وفى الواقع فإنها اعتبرت العلاقات الثقافية الخارجية بمثابة الركيزة الثالثة فى السياسة الخارجية ولذلك فقد خصصت اعتمادات بلغت ١,٢ مليار مارك ألمانى فى عام ١٩٩٢ وهو مبلغ يفوق ما أنفقته الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى هذا السبيل.

وتفيد الاحصاءات الأخيرة ان هناك نحو ١٧ مليون نسمة يقبلون على تعليم اللغة الألمانية فى العالم وان ١١ مليونا منهم يعيشون فى أوروبا الوسطى والشرقية وحدها وهى المنطقة من أوربا التى يسودها حالة الحماس للتجربة الألمانية.

وهى حالة من الحماس يشارك فيها الكثير من دول العالم الثالث بما فى ذلك مصر

ولايسعنا فى هذا الصدد إلا ان نعترف بأن المانيا التى هزمت فى معركة الحرب منذ خمسين عاما مضت ظلت تنتصر فى معركة السلام منذ ذلك الحين .

جريدة الاهرام ١٩٩٤/١٠/٤